

ان المتبع للانتاج الفكري في العالم العربي في السنوات الاخيرة ، لهوله مايعانيه هذا الانتاج من أزمة . وهي أزمة تقصّ مضاجع المفكرين الأحرار ، لأنها اذا

ازمة انتاجنا الفكري

سلبية .. وقوقعية .. وتزوير فكري

بمقدم أكثر نقولا زيادة

فأضاف الى ما عرفه العالم قبلاً اشياء واشياء ، وكشف النقاب عن حقائق وحقائق ، واهتدى الى قيم وقيم . وبعد هذا كله يأتي البعض منا ويقول جاداً كل الجد ، ان لم يكن مغرماً

في الجد ، بان الذي عندنا يكفيننا .

اذا كانت الظاهرة الاولى يصح ان تسمى « السلبية » ، فاني اسمي هذه الظاهرة التالية لها ، والمتربة عليها ، « القوقعية » . ان هؤلاء الكتاب ومن يؤيدهم من هيئات وافراد ، قراء وناشرين ، انما يقولون لنا بوجوب اعتزال هذا العالم ، والدخول الى قوقعتنا ، والاقامة فيها شائين دوماً ، محترين ابدأً ، دون ان تتجدد دماء الفكر فينا . انهم يريدون لنا ان نعيش في جو قاتم خانق عفن . ولعلّ هذا النهج كان يصح لو ان بلادنا كانت في منأى عن التيارات العالمية الكبرى ، بحيث لا يوقظنا صوت العالم . اما ونحن في وسط المعمة ، فلن يكون باستطاعتنا ذلك . والدعوة الى « القوقعية » ، مثل الدعوة الى السلبية ، ستؤدي حتماً الى القضاء علينا قضاء مبرماً .

ولعلّ من المنتظعين من يشير الى كتب وكتيبات تنشر هنا وهناك ، تحيي من النعرات ما كاد ان يموت ، وتبعث من الضلالات ما كان من حقه ان يظل ابدأً في الظلام ، وتخلق اساطير لا تلبث ان تعلقها النفوس الضعيفة وتؤمن بها ، ثم تأخذ بالتبشير بها كأنها حقائق كشف عنها البحث الدقيق ، وجلاها الاختبار . لعلّ من المنتظعين من يشير الى هذا ويسميه نضجاً فكرياً ، وإنتاجاً حرياً بان يوضع في الجهة المقابلة ، ويعتبره إيجابية قيمة بالاهتمام . اما انا فأزعم ان هذا الذي ينقل اليانم دعايات وضلالات يشترها البعض منا بالهدى ، انما هو ظاهرة ثالثة من ظواهر هذه الازمة التي نعانيها ، وهي التي أجيئلفني ان اسمها « التزوير الفكري » .

وهكذا بين سلبية تحرمّ علينا قبول الخير من الغرب ، وقوقعية تحملنا على ان نكتفي بما عندنا ، وتزوير فكري يزين لنا الشر خيراً ، والفراغ امتلاء ، والضلال هدى ، تزداد ازمة الانتاج الفكري استحكاماً ، وتعمق الجراح في النفوس ، ويتسع الحرق ، وتكثر الثغرات التي ينفذ منها الضعف الى كياننا . وقد كانت هذه الامور كافية للقضاء علينا لولا ان في هذا العالم العربي نقرأ من الكتاب والمفكرين ، يابون ان يخضعوا إلا

استمرت على ما هي عليه ، فلا شك انها ستؤدي بالفكر وتاجه الى الموت خنقاً . ولأبادر الى القول بان هذه الأزمة القائمة هي نتيجة حتمية للعوامل السياسية والاجتماعية والدينية التي تعين سنن الحياة الفكرية في ديار العرب وتتحكم فيها .

ولعلّ أول ما يلفت النظر في هذه القضية هو موقف الكثيرين من الفكر الغربي وما فيه من فلسفة وأدب ورأي . فقد عهدنا الكتاب العرب في القرن الماضي ، يقبلون على مناهل تلك الحضارة يعبون منها شجهم ، وينقلون منها الى قرائهم ما ينقع منهم الغلة . وكان القراء يقبلون على هذا قارئين ، متحدثين ، متناقشين . فلما دهمنا الغرب باقتصاده وسياسته ، ورأينا من آثارها ما ساءنا ، عزفنا عن الغرب وما عنده . وهنا بدأ الخطأ يتسرب الى تفكير الكثير من كتابنا ، واستغل المغرضون هذا الأمر ، فرفعوا رؤوسهم ، ودعونا الى الابتعاد عن الغرب في أفكاره وآرائه وأدبه وفلسفته ، وان تفضلوا فسمحوا لنا بقبول صناعاته واختراعاته . فكان من نتيجة ذلك ان اخذت « السلبية » برقاب الكتاب والمفكرين ، فلا يكاد كتاب واحد يدعو الى « التغرّب » الفكري يظهر بيننا ، حتى تخرج المطابع غير كتاب بسجف فكرته ، ومن خلف الكتاب هيئات تودّ لو أنها تستطيع ان تنكل بالكتاب الأول ومن أيده .

ولعلّ أبرز ما يمكن ان يقدمه هؤلاء القوم دفاعاً عن « السلبية » هو ان يتهم الفكر الغربي والحضارة الملتصقة به ، بالمادية والاغراق فيها ، بل وخلوها من القيم الروحية وعقمها في كثير من الأحيان .

ويترتب على الاخذ بالسلبية نحو الغرب وحضارته وتفكيره ، ان ندعى الى الاكتفاء بما عندنا . وقد كان الذي عندنا صالحاً في وقت ما ، لكنه مرت عليه قرون طويلة وهو جامد آسن حتى ليصح القول فيه انه تحجر ؛ بينما مرت القرون نفسها على الغرب وهو يسير قدماً - ينمو وينضج ويجرب ويختبر -



فتور

كسالى ... موات كاهل القبور !

لِزُوجَةٍ هذا الهواء

تثير الجفاء

متى يستفيق العبير ؟ ...

*

متى تعصف العاصفة

فتجاول الغيوم

وتطلق الكاسفة

ويسلس هب النسيم ؟ ..

*

وهذا الفتور

وما بيننا من جفاء

متى يستطيع ؟

متى يا حبيبي يسح الغمام

فينضو السقام

رينصل عهد الصفاء ؟

سليم حيدر

غمام

غمام جهام

تلبس وجه الحجر

وحراً شديد الأوام

لهات الضجر

تصاعد حقداً يغشي الغمام

*

غيوم تسد السماء

وخلف الغيوم عروس الفضاء

تبرج في خدرها

وفوق الخفيض

خول بغيض

يدمدم في الارض لحن العفاء

ويوسو على صدرها !

*

فتور

فأهل الحدور

وأهل الوكور

« القوى الكامنة » في العالم العربي آخذة في الاتجاه نحو « قوى فعالة » ، فالواجب على المفكرين الخالص ، والكتاب المؤمنين بوجود السير قدماً ، ان يهيئوا للجيل الطالع ادبا قويا عنيفاً حاداً ، يستطيع ان يكسب قارئه نشاطاً فكرياً ، وغذاء نفسياً ، وسلاحاً روحياً ، يمكنه من تقطيع السلاسل ، وفك الاغلال ، ومقاومة تلك الدعاوات الجامدة الضارة . وبذلك يتمكن الانتاج الفكري في العالم العربي من الخروج من ازمته نافضاً عنه غبار القرون ، متجدداً ، لاحقاً بركب الحضارة .

نقولاً زياده

للحق ، ويرفضون ان يكونوا حجاراً صماء ، ويرون ان الخير والحق والجمال اولى ان يفتش عنها ، ويعنى بشأنها ، ويعترف من مناهلها ، انى كانت هذه المناهل . وهؤلاء النفر يلقون من العنت كثيره ، ويتعرضون للأذى في غير مرحلة من مراحل حياتهم ، ولكنهم لا يستكينون ولا يطأطئون الرؤوس ؛ واذا قضي عليهم سلموا الراية الى من يحملها من المؤمنين بالرسالة .

هؤلاء النفر هم عدتنا في محاربة عداوة الفكر وخصومته ، وهم حريون بان نؤازرهم ونساعدهم . ومن حسن الحظ ان